إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثانية – العدد السابع – خريف ١٣٩١ش/ أيلول ٢٠١٢م

دراسة نقدية فى حياة أبى الفرج الإصفهانى وكتابه الأغانى

حسن دادخواه*
محمد حسن‌زاده**

الملخص
أبوالفرج الإصفهانى من كبار العلماء وأعيان الأدباء فى القرن الثالث الهجرى، وكان عالماً بأيام النّاس والأنساب والسير. تطرّقنا فى هذا المقال إلى حياته العلميّة والثقافيّة ودرسنا شخصيته بما فيها من الغموض؛ إذ نراه ينتمى إلى التشيّع مع أنّه أمويّ النسب، وعرضنا بعض ما وصل إلينا من آراء العلماء حول شخصيته.

ورأينا أنه رغم غزارته العلميّة والأدبيّة لايخلو من بعض الإساءات والهفوات. وعمدنا إلى كتابه الأغانى، ذلك الكتاب الشهير الذى اعتبر من أهم مصادر فى اللغة العربية وتاريخها والذى يغلب عليه صحة النقل؛ فعالجناه وعثرنا على بعض الأخطاء والروايات الضعيفة.

واعترف الكثير من العلماء بمكانة أبى الفرج العلميّة والأدبية؛ وكتابه الأغانى يعتبر موسوعة أدبيّة وتاريخية؛ إذ يحمل بين دفّتيه ترجمة لحياة معظم الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والمحدثين، كما يتضمن بعض الأحداث التاريخية.

الكلمات الدليلية: أبوالفرج الإصفهانى، الأغانى، الشعر، الأدب.

---

*. أستاذ مشارک بجامعة الشهيد چمران فى أهواز، إيران. Dadkhah1340@yahoo.com
**. مدرس اللغة العربية فى دائرة التربية والتعليم فى مدينة أهواز، إيران.
التنقيح والمراجعة اللغوية: د. هادى نظرى منظم
تاريخ الوصول: ١٣٩١/٢/١هـ. ش تاريخ القبول: ١٣٩١/٨/٢٤هـ. ش

المقدمة

نرى على مدى العصور، الكثير من كبار العلماء قد أحاطت بهم الغموض والتعقيد، فهذا أبو لفرج الإصفهانى أحد كبار العلماء فى العصر العباسى قد تضاربت الآراء فى شخصيّته ومكانته العلميّة والأدبيّة وقد تعرّض من قبل بعض العلماء لشىء من الإساءة. فقد ألّف كتاباً ضخماً وأطلق عليه اسم «الأغانى» الذى اشتهر به وذاع صيته فى العالم وقد استحسنه وأعجب به الكثير من العلماء كأمثال ابن خلدون وغيرهم.

وقد وجدنا فى حياة أبى الفرج الإصفهانى بعض الغموض والتعقيد، ثمّ فى كتابه الأغانى بعض الأخطاء والروايات الضعيفة، وأوردنا آراء العلماء المختلفة فى هذا المجال؛ ولايسعنا دراسة وتقييم هذه الآراء بما فيها من الصعوبة وقد نكتفى بذكرها ونعتبرها نقطة إيجابيّة فى حياة أبى الفرج الإصفهانى تدلّ على مكانته العلميّة والأدبيّة التى لفتت أنظار الكثير من العلماء والأدباء فى الشرق؛ فقد كان لأدبه وعلمه طابع إيجابى وصدى واسع فى عصره.

أهمية البحث ومنهجه

البحث عن زوايا من حياة أبى الفرج الإصفهانى الغامضة وإلقاء الضوء على أعماله العلميّة والأدبية هو ما نتطرّق إليه فى هذا المقال. أبوالفرج الإصفهانى من أكبر علماء عصره وزمانه، وقد امتاز بكتابه الأغانى، وقد بذلنا جهدنا فى دراسة شخصية هذا الأديب والتعرّف على آثاره وأعماله، وكشفنا عن بعض الغموض فى حياته.

وبدأنا فى المقال بدراسة حياة أبى الفرج العلميّة والأدبيّة والثقافية، ثمّ درسنا شخصيّته وأقوال الآخرين عنه، كما حاولنا أن نلقى ضوءا على جوانب من شخصيّته، ثمّ تطرّقنا إلى كتاب الأغانى وحاولنا أن نبيّن أهميّته من الناحية الأدبية والعلمية، ثم درسنا بعض الأخطاء والروايات الضعيفة التى أوردها الإصفهانى فى هذا الكتاب. وفى الأخير قدّمنا نتيجة البحث للقارىء الكريم.

حياته ونسبه

أبو الفرج على بن الحسين القرشى الأصبهانى أو الإصفهانى، كان مولده فى أصفهان

مـن مدن إيران، إسـتناداً إلى لقبه الذی عرف به واشـتهر، ويقال إنّه بغدادیّ المنشـأ والمسـكن وينتهی نسـبه إلى مروان بن محمّد آخر خلفاء بنی أميّة، وكانت ولادته سـنة ٢٨٤ق فی خلافة المعتضد بالله.

نشـأ أبوالفرج فی أسرة حريصة على طلب العلم والثّقافة؛ فكان جدّه محمّد بن أحمد الإصفهانی من كبار الرّجال فی سامراء وكان له صلة وثيقة بالوزراء والأدباء والكتّاب، ووالده الحسـين بن محمد يقطن بغـداد ويحرص على طلب العلم والثَّقافة الشّـائعة فی عصره، وكذلک كان عمّه الحسـن بن محمّد من كبار الكتاب فی عصر المتوكّل العبّاسـی. (الأغانی، ١٩٧٠م: ٧/ ١٣٣)

فنبغ فی العلم والفقه والتّاريخ واللغة وتلمّذ عند كثير من الشيوخ الكبار فی كوفة من أمثال: مطين بن أيّوب، والحسين بن الطيب الشجاعی، ومحمّد بن الحسين الكندی مؤدّبه فی الكوفة وغيرهم. ثمّ سـكن بغداد وقد اتخذ سـبيل التعلّم بمساعدة علماء بغداد الذين كانـت تمتلیء بهم المسـاجد وأبرزهم: أبوبكر بن دُريد، وكان إماماً فی الأدب والشـعر واللغة والأنسـاب، والفضل بن حباب الجمحی، وعلی بن سليمان الأخفش، والنفطويه النحویّ الشهير، ومحمد بن جرير الطّبری المؤرخ والمفسّر والفقيه، وعنه روى أبو الفرج الأصفهانی معظم أخبار العرب القديمة ومغازی الرّسـول (ص) وأشعار الشّعراء الدعوة الإسلامية. (ياقوت الحموی، ١٩٨٠م: ١٣/ ٩٥)

وبعد أن تخرّج على أيدی كثير من علماء بغداد والكوفة وأدبائهما، أخذ الإصفهانی يعقد حلقات دراسـية، ولازمه كثير من المحدثين والأدباء والشعراء. ومن أشهر تلامذته الإمام الدّار قطنی، ويحيی بن مالک الأندلسی، وأبوالحسين علی بن محمّد، وإبراهيم بن مخلّد الباقرجی، وعلی بن أحمد الرزّاز وغيرهم. (الأصمعی، ١٩٥٠م: ٧٢ـ٧٠)

توفّی الإصفهانی سنة ٣٥٦ق وقيل إنّه خولط فی عقله قبل موته.

حياته العلميّة والثقافية

يعتبر الإصفهانی من أكبر أدباء العرب، وهو عالم بأيّام النّاس والأنسـاب والسّـير، كمـا أنّه يشـاهد الأحداث فی عصـره، إذ كان يتنقّل فی حياته بـين ثلاث مدن كبرى: إصفهـان، والكوفة ثمّ بغداد وسمع الكثير من الأخبار والقصص والمرويات خلال حياته

التى امتدّت زهاء ثمانين سنة.

اتّصل الإصفهانى بوزير البويهيين الحسن بن محمّد المهلبى وحظى عنده ولهذه الصّلة أثر كبير فى حياته العلمية، كما كان للوزير مجلس كبير يشارك فيه الكثير من العلماء والأدباء من أمثال أبى القاسم التنوخى وأبى إسحاق الصابى، والشاعر الكبير أبى الطيّب المتنبى. وكان أبوالفرج فى رأس هذا المجلس. (ياقوت الحموى، ١٩٨٠م: ١٠٨/١٣ و ١٠٩)

تشير المصادر التّاريخية إلى أنّ لأبى الفرج صلات بملوک الأندلس من بنى أميّة، وكان يؤلّف لهم الكتب ويرسلها إليهم؛ فمن ذلک كتاب نسب بنى عبد شمس، وكتاب أيام العرب ألف وسبعمائة يوم، والتعديل والانتصاف فى مآثر العرب ومثالبها، وجمهرة النسب، ونسب بنى شيبان، ونسب المهالبة، ونسب بنى تغلب، ونسب بنى كلاب، والغلمان المغنون و... . (المصدر نفسه: ١٠٩/١٣)

وكانت له صداقة مع الوزير المهلبى قبل أن يتولّى منصب الوزارة، وبعد انتصابه وزيراً عَمِل كنديمٍ فى بلاط المهلبيين، يؤنسون به ويتمتّعون بأخباره ونوادره وحكاياته. وله مدائح فى الوزير المهلبى؛ من ذلک قوله:

ولما انتَجَعنا لائذين بظلّه أعانَ وعنّى ومنّ وما منّا

وردنا عليه مقترينَ فراشَنا ورُدنا نَداهُ مجدِبينَ فأخصبنا

(ابن خلكان، ١٩٩٤م: ٣/ ٣٠٨)

ثمّ صار الإصفهانى كاتباً فى ديوان ركن الدّولة، ونال عنده حظوة ومكانة عالية. ومع أنّه كان يسعى أن ينال رعاية الوزير ابن العميد، لكنّه أخفق فى ذلک. وكان بينه وبين السّيرافى النحوىّ تّنافس. يقول أبو الفرج فى ردّ السّيرافى:

لستُ صدراً ولا قرأتُ على صد ر ولا علمک البكى بشافى

لعن الله كلّ نحو وشعر وعروض يجىء من سيرافى

وكانت بين الإصفهانى والوزير أبى عبد الله البريدى سوء علاقة، وهجاه الإصفهانى بقصيدة طويلة تزيد على مائة بيت عندما ولّاه الرّاضى بالله الوزارة:

يا سـماء اسقطى ويا أرض ميدى　　　قد تولـى الـوزارة ابـن البريدى
جـلّ خطـب وحلّ أمـر عضال　　　وبـلاء أشـاب رأس الوليـد

(ياقوت الحموى، ١٩٨٠م: ١٠٣/١٣)

قـد ألّف الإصفهانى كتباً كثيرة يبلغ عددها ثلاثين، منها كتاب مقاتل الطّالبيين، وهو مـن مؤلّفاته الأولى، ومناجيب الخصيان، وكتـاب التعديل والانتصاف، وأخبار القيان، والإماء الشواعر، والمماليک الشعراء، وأدب الغرباء، والأخبار النوادر، وأدب السّماع، وأخبار الطفيليين، والخمّارين والخمّارات، وأخبار جحظة البرامكة.

وكتابه الشّـهير الأغانى، وهو الّذى اشـتهر بسـببه وذاع صيته. يقـال إنّه جمعه فى خمسـين سنةً وقدّمه للوزير المهلّبى وحمله إلى سيف الدّولة بن حمدان، فأعطاه ألف دينار واعتـذر إليه. يعتبر هذا الكتاب مـن أمّهات الكتب فى الأدب ومن المصادر الأولى لمن يكتـب عن الأدب العـربى. يتضمّن الأغانى التّراجم وأخبار الشـعراء والمغنّين وبعض الأعـلام والأدباء، كما يتضمّن بعض الأحـداث التّاريخية التى أثّرت فى التّاريخ العربى قبل الإسـلام وبعده. ويعتبر أيضاً موسـوعة جامعة شـاملة. قال عنـه ابن خلدون فى مقدّمته: جمع فيه أخبار العرب وأشـعارهم، وأنسـابهم، ودولهم، وجعل مبناه على الغناء فى المائة صوت التى اختارها المغنون للرشيد. (ابن خلدون، ١٩٠٠م: ٥٥٤) اعتبره ابن خلدون ديوان العرب. (المصدر نفسه: ٥٧٣)

شخصيته

يرجع نسـب أبى الفرج إلى بنى أميّة، لكنّه كان يتشـيّع؛ ومع أنّ العلماء والمؤرّخين قد اجتمعوا على سـعة علمه، وكثرة محفوظه، وجودة شعره، وكثرة تأليفه، يقول القاضى أبـو على التّنوخى أحد معاصريه: «ومن رواة المتشـيعين الذين شـاهدناهم أبو الفرج على بن الحسـين الأصفهانى، فإنّه كان يحفظ من الشـعر والأغـانى والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والنّسب ما لم أر قطّ من يحفظ مثله، وكان شديد الاختصاص بهذه الأشـياء ويحفظ دون ما يحفظ منها علوما أخرى منها: اللغة والنحو والخرافات والسِّيَر والمغـازى، ومن آلة المنادمة شـيئاً كثيراً، مثل علم الجـوارح والبيطرة ونتف من الطب

والنجوم والأشربة وغیر ذلک، وله شعر یجمع إتقان العلماء وإحسان الظرفاء الشعراء.» (الخطیب البغدادی، لاتا: ۳۹۹/۱۱) ثم إنّه کانت له رحمة وألفة بصنوف الحیوان، یأنس بصحبتها، ویعالجها إذا أصابتها علّة، ویأسی لموتها، وقد أثرت عنه أبیات رقیقة فی رثاء دیک له مات:

أبکی إذا أبصرت ربعک موحشا   بتحنن وتأسف وشهیق
ویزیدنی جزعا لفقدک صادح   فی منزل دان إلیّ لصیق
فتأسّفی أبداً علیک مواصل   بسواد لیل أو بیاض شروق

لکنّه لایعتنی بمظهره، ویبدو وسخاً قذراً دائماً، وکان النّاس یتّقون هجاءه، کما ورد فی کتاب معجم الأدباء: «کان أبوالفرج الإصفهانی صاحب کتاب الأغانی ... وسخاً قذراً، ولم یغسل له ثوباً منذ فصله إلی أن قطّعه ... وکان النّاس علی ذلک العهد یحذرون لسانه، ویتّقون هجاءه ویصبرون علی مجالسته ومعاشرته ومواکلته ومشاربته وعلی کلّ صعب من أمره لأنّه کان وسخاً فی نفسه ثمّ فی ثوبه وفعله حتّی إنّه لم یکن ینزع دراعة إلا بعد إبلائها وتقطیعها ولایعرف لشیء من ثیابه غسلاً ولایطلب منه فی مدّة بقائه عوضاً.» (یاقوت الحموی، ۱۹۸۰م: ٦۱/٥)

ویقول ابن الجوزی عن شخصیة أبی الفرج: «... ومثله لایوثق بروایاته، یصرّح فی کتبه بما یوجب علیه الفسق، ویهوّن شرب الخمر، وربّما حکی ذلک عن نفسه، ومن تأمّل کتاب الأغانی رأی کلّ قبیح ومنکر.» (ابن الجوزی، ۱۳٥۸ق: ٤۰/۷)

ویعتقد بعض العلماء أنّ أبا الفرج کان أکذب النّاس. فقد أورد الخطیب البغدادی أنّ أبا محمّد الحسن بن الحسین ابن النّوبختی کان یقول: «کان أبوالفرج الإصبهانی أکذب النّاس، کان یشتری شیئاً کثیراً من الصّحف ثمّ تکون کلّ روایته منها.» (الخطیب البغدادی، لاتا: ۱۱/ ۳۹۸)

غموض شخصیة الإصفهانی

تباینت الآراء وتضاربت الأفکار حول شخصیة أبی الفرج الإصفهانی، فالعلماء معظمهم یتفقون علی مکانته الثّقافیة والعلمیة ولکن یختلفون فی قیمته الذّاتیة، یری

الثّعالبی أنّه كان من أعيان الأدباء، ويری ابن خلّكان فی كتابه وفيات الأعيان أنّه روی عن علماء يطول تعدادهم فكان عالماً بأيام النّاس والأنساب والسّير، ويروی التنوخی قولــه فيــه أنّه كان يحفظ من الشّــعر والأغانی والأخبار والآثار والأحاديث المســندة والنســب. وسبق أن أوردنا أن أبا الفرج الإصفهانی أمویّ النّسب، جدّه مروان بن محمّد آخــر خلفاء بنی أميّة، ونــری فی أقوال الكثير من العلماء أنّه من المتشــيّعين، فهنا نری شخصية بالغة التعقيد؛ أهو أمویّ كان يدّعی التّشيّع؟!

ويقول الذّهبی فی السّــير: «والعجب أنّه أمویّ شــيعیّ. قال ابن أبی الفوارس: خلط قبل موته. قلتُ: لا بأس به.» (الذهبی، لاتا: ۱۱/۲۰۲) وقال أيضاً فی تاريخ الإســلام: «روی عن طائفة كثيرة، وكان إخبارياً نسّــابة شــاعراً ظاهر التَّشيع ... وهذا عجيب إذ هو مروانیّ يتشيّع.» (الذهبی، لاتا، ۱٤٤)

بغضّ النّظر عمّا يقال عن غموض شخصية الإصفهانی، فنحن نری فی كتاب الأغانی روايات شــنيعة نسبها إلی آل البيت عليهم السّــلام وهو لايبالی أن يطعن فيهم ويجرح سيرتهم. فكيف يمكن أن نعدّه متشيّعاً؟

ذكــر ابــن نديم أنّ الإصفهانی كانت أمّه تنتمی إلی آل ثوابة، وهی أســرة مســيحية اعتنقت الإســلام، والتزمت بالتّشــيع وهم عرفوا فی عصرهم بالكتابة والأدب والشعر، فمن هنا يبدو أن الإصفهانی أخذ التشــيع عن أمّه وأيضاً لنشــأته فی الكوفة أثر كبير فی تشيّعه. (ابن النديم، لاتا: ۱٦٦-۱٦۷) نری إذن تشيّعه سطحيّاً.

آراء العلماء فی أبی الفرج

ولنذكر هنا بعض أقوال العلماء والأعلام حول أبی الفرج الإصفهانی:

قال هلال بن المحسّــن الصابی: «كان أبو الفرج الإصفهانی وســخاً قذراً، ولم يغسل له ثوباً منذ فصّله إلی أن قطّعه، وكان النّاس علی ذلک يحذرون لســانه، ويتّقون هجاءه، ويصبرون علی مجالسته، ومعاشرته، ومؤاكلته، ومشاربته وعلی كلّ صعب من أمره، لأنّه كان وسخاً فی نفسه، ثمّ فی ثوبه، وفعله...» (ياقوت الحموی، ۱۹۸۰م: ۱۳/۱۰۰)

وذكر الخطيب البغدادی فی تاريخه: «حدّثنی أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طباطبا

العلوىّ، قال: سمعت أبا محمد الحســن بن الحســين بن النوبختى كان يقول: كان أبوالفرج الإصبهانى أكذبَ النّاس، كان يشــترى شــيئاً كثيراً من الصّحف، ثمّ تكون كلّ رواياته منها.» (الخطيب البغدادى، لاتا: ۳۹۸/۱۱)

وقال العلامة ابن الجوزى: «... ومثله لايوثق بروايته، فإنّه يصرّح فى كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهوّن شرب الخمر وربّما حكى ذلک عن نفسه، ومن تأمّل كتاب الأغانى، رأى كلّ قبيح ومنكر.» (ابن الجوزى، ۱۳۵۸ق: ۴۰/۷ و۴۱)

ومن المعاصرين الذين درســوا شــخصية أبى الفرج وكتابه الأغانى، الدكتور محمّد أحمــد خلف فى خاتمة كتابه "أبوالفرج الإصفهــانى الرّاوية". يقول الدكتور خلف: «ولقد وقفنــا على ما لأبى الفرج من ميــول وأهواء فيجب أن نحذر هذه الميول وهذه الأهواء، كلّما حاولنا الاعتماد على ما خلّف الرّجل من مرويات فقد يكون الرّجل مضلّلاً، وقد يكون صاحب غرض وهوى. وليس يخفى أنّ للأهواء حكمها فى التّاريخ، وهو حكم قد يملى رغبته لا فى ذكر الأخبار فحسب، وإنّما أيضاً فى الكتمان.»

يُســتفاد مما سبق أن أبا الفرج كان ذا علم واســع وثقافة كبيرة وبفضل هذه المكانة تقرّب من البويهين، واتّصل بالوزراء والكبراء آنذاک، وتولّى منصب الكتابة فى حكومة البويهيين وقد أجلســه "ركن الدولة" على منصّة القضاء لمدّة أيّام؛ فهو من جهابذة العلم والأدب فى عصره.

كتاب الأغانى

كتاب الأغانى من أمّهات كتب التّراث العربى، ويعتبر هذا الكتاب موســوعة أدبيّة وتاريخيّة يتضمّن تراجم وأخبار الشّعراء والمغنّين وبعض الأعلام والأدباء، كما يتضمّن الأحداث التّاريخيّة التى أثّرت فى التّاريخ العربى.

يذكر الإصفهانى فى مقدّمته ســبب تأليف هذا الكتــاب، فيقول: «والذى بعثنى على تأليفه، أنّ رئيســاً من رؤسائنا كلّفنى جَمعه له، وعرّفنى أنّه بلغه أن الكتاب المنسوبَ إلى إسحاق الموصلى مدفوع أن يكون من تأليفه، وهو مع ذلک قليل الفائدة، وأنّه شاکّ فى نســبته، لأن أكثر أصحاب إسحاق ينكرونه، ولأن ابنه حمّاداً أعظم إنكاراً لذلک ... .»

(الأغــانی، المقدمة، ١٩٧٠م: ٥/١)، ولكنّه لم يذكر لنا فی مقدّمته من هو الذی طلب منه أن يقوم بتأليف هذا الكتاب وقد اكتفی بهذا القول أنّ رئيساً من رؤسائه كلّفه بجمعه.

وقــد ذكر ياقوت الحموی فی معجم الأدباء أنّ الإصفهــانی كان نديماً للوزير المهلّبی وقد ألّف كتاب نسب المهالبة وكتاب مناجيب الخصيان وأيضاً ألّف كتابه الضخم الأغانی للوزير أبی الحســن محمّد بن الحســن المهلبی، ويذكر ياقوت الحموی أنّ الوزير المهلّبی ســأل أبا الفرج الإصفهــانی عن كتابه الأغــانی والمدّة التی قضاهــا فی تأليفه فأجاب الإصفهانی أنّه ألّفه فی خمسين سنة. (ياقوت الحموی، ١٩٨٠م: ١٣/ ١٠٣ و ١٠٦)

وذكر ابن خلّكان أنّ: «الصّاحب بن عبّاد كان فی أســفاره وتنقلاته يستصحب حمل ثلاثــين جملاً من كتب الأدب ليطالعها، فلمّــا وصل إليه كتاب الأغانی لم يكن بعد ذلك يســتصحب سواه، اســتغناءً به عنها.» (ابن خلكان، ١٩٩٤م: ٣ / ٣٠٧) وكتب ياقوت الحموی بخطّه نسخة من كتاب الأغانی فی عشر مجلّدات وجمع تراجمه، ونبّه علی فوائده.

فالأغــانی قــد ألّف فی عصر البويهيين وتناول الغناء منــذ الجاهلية إلی عهد الخليفة المعتضــد بالله المتوفّی ســنة ٢٨٩ق. وضــمّ بين دفتيه الكثير مــن الرّوايات والحكايات العجيبة مما لم تورد فی كتب أخری.

ومن ميزات هذا الكتاب الضخم يمكن الإشــارة إلی كثرة الروايات والقصص التی ذكرها الإصفهانی عن المغنّين وأهل الطّرب والمجون، وأيضاً قد ذكر الكثير من الأعلام الشــعراء والأدباء، كما يشتمل علی مواضيع شتّی من تاريخ الإسلام. لكن هناک آراء تشــكّک فی المنهج الذی سلكه الإصفهانی فی تأليف كتابه هذا وقيمته الأدبيّة والعلمية. يقول الدكتور محمّد غنيمی هلال: «رواية من أخبار عبدالرّحمن بن عمّار الشهير بالقس وهيامه بســلامة المُغنيّة أو أخبار عروة بن حزام وحبيبته عفراء، فكلّ هذه المشاهد التی يعرضها الإصفهانی حول لقاءات بين قس وســلامة، خاصة تلک الأماكن التی تتخفّف فيــه المغنّيات من جلّ ملابســهنّ، تجعلنا نرتاب فی صحّة هــذه الأخبار، أو علی الأقل لانعتمد عليها كرواية من تاريخ الإســلام لأنّها لن تتّفق مع روح الإسلام وكيف الرّجل يترک زوجه مع رجل آخر وهو يعلم ما يدور بينهما من الحبّ والوجد والشّــوق، وهل هذه من تعاليم الإسلام أن يقدّم الرّجل امرأته فی خلوة مع رجل آخر، يتشاكيان لواعج

الهوى وألم الوجد، فيصوّر الإصفهانى هذه المشاهد بهذه العبارات: «وقد وفد على زوج حبيبته بالشّـام، فأكرمه الزّوج فأحسن مثواه، وخرج وتركه مع عفراء يتحدّثان ... فلمّا خلوا تشاكيا ... .» (هلال، لاتا: ۱۹)

ويقول صاحب كتاب السّـيف اليمـانى: «اعتمد أبوالفـرج الإصفهانى فى كثير من أخباره السّوداء المظلمة المسـمومة على طائفة خبيثة من الرّواة الكذّابين والمجروحين والمطعـون عليهم واعتـبر أخبارهم موثّقة ولـوّث صفحات تاريخنا وأدبنا بالسّـخائم والبلايا.» (الأعظمى، ۱۹۸۸م: ۲۷)

ومن يدقق فى هذا الكتاب يرى فيه من الرّوايات الواردة ما ليس لها إسناد موثوق بـه، ومرد ذلـک أن الإصفهانى قد نقل عن رجال لايوثق بهـم وطعن عليهم الكثير من العلمـاء الأقدمـين. وقد ذكر وليد الأعظمـى فى كتابه الآنف الذكـر الكثير من هؤلاء الرّجال.

وأيضاً نرى أنّ الإصفهانى يروى رواياته على لسـان أشـخاص وهميّة، فيقول على سـبيل المثال: سمعتُ رجلاً يقول كذا ... أو حدّثنى شيخٌ عن رجلٍ يقول كذا ... أو يقول: قالـت جاريةٌ، رأيتُ فلانة ترقص ... . ومع هذه نرى الكثير من العلماء والمستشـرقين اعتمدوا فى كتاباتهم عن التاريخ الإسلامى ورجاله على هذا الكتاب.

يقـول ابن الجوزى فى كتاب المنتظم: ومثله لايوثـق بروايته؛ فإنّه يصرح فى كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهوّن شرب الخمر وربّما حكى ذلک عن نفسه و من تأمّل الأغانى رأى كلّ قبيح و منكر. (ابن الجوزى، ۱۹۰۰م: ۷/۴۰و۴۱)

ونرى فى طيّات هذا الكتاب الضّخم بعض الإسـاءة إلى آل بيت رسـول الله (ص) مثل تلک الرّوايات التى يرويها عن سُـكينة بنت الحسـين (ع) واجتماعها مع عمر بن أبى ربيعة وأيضاً مجالسـتها الشـعراء، فيذكر الإصفهانى هذه، فيقـول: أخبرنى على بن صالح قال: حدثنا أبو هفان، عن إسحاق، عن أبى عبدالله الزبيرى قال: اجتمع نسوة من أهل المدينة من أهل الشرف، فتذاكرن عمر بن أبى ربيعة وشعره وظرفه وحسن حديثه، فتشـوقن إليه وتمنينه... فأرسلت "سـكينة بنت الحسين" إليه رسولا وواعدته الصورين، وسمـت له الليلة والوقت، وواعدت صواحباتهـا. فوافاهن عمر على راحلته، فحدثهن

حــتى أضاء الفجر وحــان انصرافهن، فقال لهن: والله إنى لمحتاج إلى زيارة قبر رســول الله صلى الله عليه وآله وســلم والصلاة فى مســجده، ولكنّى لا أخلط بزيارتكنّ شيئا، ثم انصرف إلى مكة من مكانه، وقال فى ذلک:

قالــت ســكينة والدمــوع ذوارف   منهــا علــى الخديــن والجلبــاب
ليــت المغيــرى الــذى لــم أجزه   فيمــا أطــال تصيــدى وطلابــى
كانــت تــرد لنــا المنــى أيامنــا   إذ لا تُــلام علــى هــوى وتصابى

(الأغانى، ١٩٧٠م: ١/ ١٧١)

وتكرار هذه القصيدة فى مواضع مختلفة من هذا الكتاب يلفت انتباهنا ويجعلنا نرتاب فى صحّــة هذه القصّة. أمّا فى موضع آخر يروى لنا الإصفهانى قصة أخرى عن مجالســة سكينة بنت الحســين (ع) مع الشّعراء فيقول: أخبرنى الحسن بن على قال: حدّثنا محمّد بن القاســم بن مهرويه قال: أخبرنى عيســى بن إسماعيل، عن محمّد بن سلام، عن جرير المديــنى، عن المدائــنى وأخبرنى به محمد بن أبى الأزهر قال: حدثنا حماد بن إســحاق، عــن أبيه، عن محمّد بن ســلام. وأخبرنى به أحمد بن عبدالعزيــز الجوهرى، عن عمر بن شــبة موقوفا عليه، قالوا: اجتمع فى ضيافة ســكينة بنت الحسين عليهما السلام، جرير والفــرزدق وكثيّر وجميل ونصيــب، فمكثوا أياما، ثم أذنت لهم فدخلــوا عليها، فقعدت حيث تراهم ولايرونها وتسمع كلامهم، ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة وقد روت الأشعار والأحاديث، فقالت: أيّكم الفرزدق؟ فقال لها: ها أنذا، فقالت: أنت القائل:

همــا دلتانــى مــن ثمانيــن قامة   كما انحط باز أقتم الريش كاســره
فلمّااستَوَت رِجلایَ فی‌الأرضِ قالتا   أحــى فيُرجَى أم قَتيــل نحاذره
فقلت ارفعوا الأمراس لايشعروا بنا   وأقبلت فــى أعجاز ليــل أبادره
أبــادر بوابيــن قــد وكلا بنــا   وأحمر من ســاج تبصّ مســامره

فقال: نعم، فقالت: فما دعاک إلى إفشاء سرّها وسرّک؟ هلا سترتها وسترت نفسک؟ خذ هذه الألف، والحق بأهلک. (المصدر نفسه: ١٦/ ١٦٩و١٧٠(

و فى مواضــع أخرى من هذا الكتاب يروى الإصفهانى روايات أخرى عن سُــكينة

بنت الحسـين عليهما السّـلام والتى يرتاب فيها من يطالع هذه القصص الموضوعة، فهو يظهر لنا أنّ سُكينة بنت الحسين (ع) خبيرة بالغناء تحكم بين المغنّين. (المصدر نفسه: ٢/ ٣٦٥) وفى موضع آخر تُرجع سُـكينة، ابن سـريج إلى الغناء بعد توبته. (المصدر نفسـه: ١٧/ ٤٢ ٤٥) فكيف يمكن أن نتأكد من صحّة هذه الروايات؟

والإصفهانى لم يكتف بطعن آل البيت عليهم السـلام بل بشـتم دين الإسـلام علناً ويفضّـل الجاهلية عليه ويعتبرها خيراً من الإسـلام (المصدر نفسـه: ١٣/ ٢٦٤) وهو يستهزىء بالصلاة (المصدر نفسه: ٤/ ٢٧٧)، ورغم هذا كله يدّعى أنّه من المتشيّعين.

يقـول محمّد عبد الجواد الأصمعى عن كتاب الأغانى: يتبـّين لنا من الرّوايات التى أوردها أبوالفرج الإصفهانى فى كتابه الأغانى أنّه كان قد تساهل فيما نقله من الكتب، أو قد كان اطلاعه لم يكن بشـكل كاف وقد نقل مشافهة عن البعض. (الأصمعى، ١٩٥٠م: ١٣٢ وما بعدها)

ونسـتنتج هنـا أنّ أبا الفرج قد جمع بعض ما وصل إليه مـن الرّوايات دون العناية بتحقيق صحّتها وحقيقة وقوعها. إذ نرى كتاب الأغانى كتاباً جامعاً يشتمل على الكثير مـن الرّوايـات والقصص، أوردها صاحبهـا كما وصلت إليه، ومـن هنا وقع فى بعض المزالق والهفوات.

النتيجة

حاولنـا فى هذا المقال أن نتحاور مع شـخصية أبى الفرج ونكشـف الغموض عنها، وأشـرنا إلى تباين الآراء وتضارب الأفكار حول شخصيّته؛ إذ نرى فى آراء الكثيرين أنّ أبـا الفرج له شـخصيّة علميّة وله أعمال كثيرة، كمـا أن البعض لايثقون به. وهناك تناقض فى موقفه، فهو أمویّ النّسب ونراه متشيّعاً، وهذا شىء غريب وموقف غير مفهوم يحتـاج إلى تأمّل. لكنّنا حاولنا أن نبصر التاريـخ ونتبصّر أحداثه، لأنّ التاريخ ضرورة للحاضـر؛ والإصفهـانى رغم كثرة علمه وغزارة أدبه قد وقـع فى بعض المزالق فى كتابه الضخم المسـمّى بالأغانى والذى اعتبره العلماء كتابا لايستغنى عنه أى أديب. ولاغرو؛ فالكتاب يجمع بين دفّتيه الكثير من الروايات الصحيحة والضعيفة أو المنحولة.

ونرى فى طيّات الكتاب روايات شــنيعة تنسب إلى أهل البيت عليهم السلام، الأمر الذى يجعلنا نرتاب أكثر فأكثر فى شــخصيته وتشــيّعه وفى صحّة بعض ما نقله فى كتابه الأغانى.

المصادر والمراجع

ابن الجوزى، عبد الرحمن بن على. ١٩٠٠م. المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم. بيروت: دار صادر.
ابن النديم، لاتا. الفهرست. لانا.
ابن خلدون، لاتا. مقدّمة. بيروت: المطبعة الأدبيّة.
ابن خلكان، أحمد بن محمّد. ١٩٩٤م. وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان. حققه الدكتور إحســان عبّاس. بيروت: دار صادر
الإصفهانى، أبو الفــرج. ١٩٧٠م. الأغانى. تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم وآخرين. القاهرة: الهيئة العامّة المصرية للتأليف والنّشر.
الأصمعى، محمّد عبدالجواد. ١٩٥٠م. الإصفهانى وكتابه الأغانى. القاهرة: دارالمعارف.
الأعظمى، وليد. ١٩٨٨م. السيف اليمانى فى نحر الإصفهانى صاحب الأغانى. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنّشر.
الثعالبى، أبو منصور. ١٣٧٥ق. يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر. القاهرة: لاتا.
الخطيب البغدادى، أحمد بن على. لاتا. تاريخ بغداد. بيروت: دار الكتب العلمية.
خلــف الله، محمّد أحمد. ١٩٥٣م. صاحــب الأغانى أبوالفرج الإصفهانى فى الرواية. القاهرة: مكتبة نهضة مصر.
الذهبى، شمس الدين محمد بن أحمد. لاتا: السير. لانا.
الذهبى، شمس الدين محمد بن أحمد. لاتا: تاريخ الإسلام الكبير. لانا.
الفاخورى، حنّا. ٢٠٠٥م. الجامع فى تاريخ الأدب العربى. بيروت: دارالجيل.
مكى، الطاهر أحمد. ١٩٧٧م. دراسة فى مصادر الأدب. القاهرة: دار المعارف.
هلال، محمد غنيمى، لاتا. النقد الأدبى الحديث. القاهرة: لاتا.
ياقوت الحموى. ١٩٨٠م. معجم الأدباء. بيروت: دار الفكر.